علم التّرجمة : مفهومه وأسباب ظهوره

أ. حسينة لحلو ، معهد الترجمة ، جامعة الجزائر 2 ، الجزائر

البريد الإلكتروني : lahlou_hassina@yahoo.com

ملخّـــص

إن مصطلح « علم الترجمة» بصفته علما قائما بذاته ومعترفا به في حقـــل العلوم الانسانية حديث العهد، رغم أن المسائل و المبادئ التي بني عليها موجودة منـــذ وجود الترجمة.

يسعى هذا المقال إلي العودة إلي جذور علم الترجمة و أسباب ظهـوره و المسائل التي يتناولها حتى قبل أن يتبلور إلي علـــم مستقل يهتم بالترجمة. منذ بدايـــة الخمسينات من القرن الماضي.

Résumé

La notion « traductologie » en tant qu'une science indépendante et reconnue dans le champ des sciences humaines est relativement récente, bien que ses concepts clés tels que traduisibilité et fidélité aient existé depuis l'existence de la discipline de la traduction.

Le présent article puise dans les racines de la traductologie, ses raisons d'êtres et les différentes questions qu'elle traite.

معروف أن نشوء علم من العلوم و بروزه إلى ساحة الدراسة لا يكون إلا عن ضرورة يمليها وجود ظاهرة طبيعية أو نشاط بشري له أسبابه و مظاهره و غاياته، و تلك هي حال علم الترجمة الذي أفرزته ظروف تاريخية و عملية صنعتها ظاهرة الترجمة المعروفة لدى الناس منذ أن كانت ألسنتهم مختلفة و رؤيتهم للحقائق كذلك، مع أن عناصر الفكر البشرية تظل واحدة، و ذلك ما سمح بمقبوليتها نظريا و وجوبها عمليا بعد أن توسعت دائرة التواصل بين الجماعات. تواصل كان ليتحدد – لولاها- بحدود الإيماء و الإشارة.

-ما هو علم الترجمة ؟

علم الترجمة هو المقابل الصريح للمصطلـــــــــح الفرنسي» traductologie» التي تعني حرفيا «logos « أي علم، و «traducto « أي الترجمة، أما في اللغة الإنجليزية فهو يدعى translation studies و هو العلم الذي يهتم بالتنظير للممارسات التطبيقية للترجمة من جهة

و تطبيق النظريات الترجمية المتوفرة في مجال تكوين المترجمين و تطوير أدوات تعليم الترجمة و نقد الترجمات من جهة أخرى.

من المنظرين من وضع علم الترجمة في خانة العلوم الطبيعية معتبرا موضوع الدراسة، أي الترجمة، نشاطا عصبيا، حيث يتركز البحث غلى العامل البشري و هو المترجم، و هناك من يعتبرها فرعا من فروع العلوم الإنسانية، وبالتحديد علم اللسان، كونه علما يدرس الظواهر و المبادئ التي لا تنم عن موضوع الترجمة بصفتها نتاجا فحســـــب بل و المتعلقة بالمعطيات النفسية و التاريخية و السياقات الاجتماعية و السياسية التي تحكم عملية الترجمة، حيث نجد علم الترجمة النفسي و علم الترجمة الاجتماعي...الخ.

مهما تعددت التصنيفات ، فإن علم الترجمة و نظرا لتشعب موضوعه في مجالات متعددة، يظل علما متعدد المجالات، في حاجة دائمة إلى العلوم الأخرى من أجل استخلاص النتائج و تثبيت المبادئ من خلال تفسير الظواهـــــــر المختلفة المتعلقة بجميع العوامل التي تدخل في الترجمة و المتمثلة في الشخص المترجم و اللغة الأولى و اللغة الثانية و النص موضوع الترجمة و غير ذلك، و ذلك بغية تحقيق الغايات التي سطرها هذا العلم و هي حل المشاكل الترجمية بكل أصنافها و محتوياتها سواء في الميدان العملي أو الميدان التعليمي.

كان أول من اهتم بتحديد مجـال علم الترجمة جيمس هولمز في مقال عنوانه « Name and nature of translation studies »حيث ميز فيـــــــه بين علم الترجمة النظري الذي يشتغل بوصف ظواهر الترجمة و علم الترجمة التطبيقي و الذي يهتم بتطبيق المبادئ والنظريات في مجال تكوين المترجمين و تطوير أدوات تحسين مهنة الترجمة و في مجال النقد الترجمي. و قد شدد هولمز على نقطة مهمة و هي وجوب انصباب اهتمـــــــام هذا العلم على الترجمة بحد ذاتها سواء كانت عملية فكرية ذات مبادئ تصوغ من خلالها مراحلها المختلفة أو منتوجا نهائيا أي نصا مترجما في لغة أخرى و لا ينبغي أن يكون موضوع الدراسة غير ذلك كاللغة مثلا أو علم النفس أو علم الاجتماع حتى و إن كانت هذه الجوانب تكتسي من الأهمية ما تكتسيه في الترجمة.

- ما الذي صعب تحديد حقل علم الترجمة ؟

تطبع علم الترجمة سمة التعددية لأنه يبحث في نشاط يستمد وجوده من علوم كثيرة، كما يتسم هذا العلم بسمة التجريبية لكون الترجمة قد مورست لحقب طويلة و منذ وقت بعيد، غير أن التنظير لهذه الممارسة ليس بعيدا ، لهذا فإن العلم المهتم بها قائم على التجريب، أي: الممارسة الترجمية و ملاحظة ما يحدث خلال الترجمة.

إن وجود علم الترجمة يسبق ماهيته، لأنه لم يعرف علما قائما بذاته و لم تتضح معالمه إلا بعد وقت طويل من ظهور مبادئه و مواضيع الدراسة فيه، حيث أن علوما أخرى كانت تشاركه موضوع دراسته بما أن الترجمة كانت تدرس من زوايا مختلفة ، دون أن تعمد أية دراسة إلى التعمق في مشاكلها و ظواهرها ، مما جعلها تتطور وتصنع لنفسها علما متشعبا و مرتبطا بباقي العلوم من حيث الاصطلاحات و المنهجية و مستقلا من حيث الأبعاد و الغايات

. و يشكل هذا العلم في الوقت الراهن مجالا فسيحا تبحث فيه المسائل و المفاهيم المتعلقة بالترجمة و كونه يقترض بعض المصطلحات و المناهج من باقي العلوم بحكم تعدد الجوانب الداخلة في الترجمة ،فإن ذلك لم يمنعه من أن يكون علما قائما بذاته و موضوعه و أهدافه. مع ذلك، كان هناك من العلماء من انتقد وجوده و نفى مردوديته ، مثل (بيرنييه) الذي يقول مخاطبا من أسّس لهذا العلم:

(Ceux qui prétendent fonder une science de la traduction ne font rien d'autre la plupart du temps que d'étudier la traduction du point de vue d'une science plus vaste et comme application de cette science) [1]

(إن من يزعم تأسيس علم للترجمـــــة لم يؤسس في الغالب شيئا سوى مجرد دراسة داخلة في إطار علم أوسع تطبيقا له لا غير) ترجمتنا

والعلم الذي قصده بيرنييه هو بطبيعة الحـــــال علم اللغة، و يبرر وجهة نظره تلك بحقيقة عجز المنظرين عن تحديد حقل هذا العلم، حيث يستنتج قائلا:

(Aucune science de la traduction n'a à ce jour développé des méthodes et un objet spécifique) [2]

(ولم تفلح أية نظرية ترجمية – حتى الآن- في تطوير مناهج محـددة أو موضوع محدد). ترجمتنا. إذا كان الأمر كذلك، فإن القارئ قد يتســـــــاءل عن قيمة أعمال السابقين من علماء اللغة والمترجمين أمثال مونان و فييني و داربلني و كاتفورد و غيرهم، فيجيب بيرنييه قائلا:

« Il sont en réalité bien plus des théories de la langue appliquées à la compréhension des difficultés inhérentes à tout acte de traduction que des prolégomènes à une science de traduction » [3]

(هي في واقع الأمر نظريات تطبيقية لاستيعاب المشاكـــــل المتعلقة بالترجمة أكثر منها مبادئ مؤسسة لعلم الترجمة) ترجمتنا.

من جهة أخرى، نجـــد من المنظريـــــن من دافع عن علم الترجمة و بين أهميتـــه وخصوصيته، أمثال برمان الذي عرفه في مقدمـــــة كتابه ابتداء من تحديد طبيعة الترجمة ومجالها، و هو يقول في ذلك:

« la traduction n'est ni une sous-littérature (comme l'a cru le 18ème siècle) ni une sous-critique (comme l'a cru le 19ème siècle) elle n'est pas non plus une linguistique ou une poétique appliquée(comme on le croit au 20ème siècle). La traduction est sujet et objet d'un savoir propre (.....)la traductologie : la réflexion de la traduction sur elle-même à partir de sa nature d'expérience » [4]

(ليست الترجمة بفرع من فروع الآداب كمـــا اعتقد في القرن الثامن عشر ولا بفرع للدراسات النقدية كما اعتقد في القرن التاســـــــع عشر ولا هي بعلم من علوم اللغة ولا نظرية شعرية

تطبيقية كما يعتقد في القرن العشرين. الترجمة هي معرفة مميزة بذاتها و موضوعها (.....) علم الترجمة هو: تأمل الترجمة في ذاتها انطلاقا من تجربتها). ترجمتنا.

ويجدر التنبيه إلى أن برمان، و هو يسير على خطى التفكير الفيلسوفي الحديث الذي يقوده كانت وهيقل و هايديقر ، يتبنى مصطلحية مختلفة عن مصطلحية علم اللغة، أي انه يفضل مصطلحي التفكير و التجربة على مصطلحي النظرية و التطبيق، و ذلك على أساس فكرة يؤمن بها و هي أن الترجمة يمكن أن تستغني عن النظرية لكن لا عن التفكير،و في ذلك يقول:

« La traduction peut fort bien se passer de la théorie non de pensée. Et cette pensée s'effectue toujours dans un horizon philosophique » [5]

(يمكن للترجمة الاستغناء عن النظرية و لكـــن لا يمكنها الاستغناء عن التفكير. وهذا التفكير يحدث دائما في حدود الفلسفة). ترجمتنا.

بهذا يكون علم الترجمة، حسب برمان تفكيرا وتجربة، لا تمرينا موضوعيا.

ويمكن،بل و ينبغي لهذا التفكير و هذه التجربة أن يلجا حقولا أخرى غير تلك التي ولجتها وتوقفت عندها التجارب الفكرية اللغوية السائدة، وهي ممثلة في اتجاهين غالبين هما أولا:التفكير الأبدي أو الدائم في ترجمة النصوص المقدسة، ثانيا: التفكير القائم على التحليل النفساني، خاصة في فرنسا، مع أن التفكـــــــير الأول لا يثمر إلا في حقل الترجمة الشعرية، والتفكير الثاني يتحدد بمحدودية تجربته على الترجمة. و يبقى علم الترجمة يبحث عن حدود أوسع من تلك و يسعى إلى احتضان جميع حقول الترجمة، من قانونية و تقنية و علمية وكذلك ترجمة أدب الأطفال.

- عودة إلى جذور بعض المسائل التي مهدت لظهور علم الترجمة :

لقد بدأ التفكير التجريبي في الترجمـــــة ينمو منذ القرن السادس عشر ، حيث رافق الممارسة الترجمية أسئلة نظرية متقابلة ومتناقضة أحيانا غذّت هذا التفكير و دعمته ليتطور إلى نظريات شكلت علم الترجمة الحديث. وكانت أهـــــم تلك المسائل: مسألة قابلية الترجمة (traduisibilité).

- مسألة إمكانية الترجمة من استحالتها :

كيف نتساءل عن إمكانية شيء و نطرحها للنقاش، و نحـــن بصدد دراسة العلم الذي احتضنه و حمل اسمه؟

القضية بسيطة، و تُفهم بالعودة إلى ما كان يعرف من أساليب نقل من لغة إلى أخرى قبل أن تعرف الترجمة بمفهومها المحدد و التي ارتاب علماء لغة و فلاسفة كثيرون في إمكانيتها تبعا لمدى مقبولية مبدأ « **تكافؤ اللغات في التعبير عن الفكر الإنساني المشترك**».

قبل الترجمة، كان هناك النسخ و التعليـــــق. فالنسخ لا يقترح سوى نقل حرفي منمق

بأساليب اللغة الأصلية. و التعليق، عكس ذلك، يضيف إلى المضمون الأصلي أفكارا توضّحه دون أن تنتمي إليه.

وإذا كان تعليم اللغات الأجنبية يتقبل الاعتمـــــاد على هذين النوعين من النقل، فإن الترجمة - ببعدها المهني- ينبغي أن تكون بمثابـــة تقديم المكافئ المحدد باللغة الهدف، و في ذلك يقول (دومارسي) [6]

« Le traducteur doit parler sa propre langue et non celle de son auteur, parce qu'il ne parle qu'à des personnes de sa nation. Ainsi, il doit rendre les expressions particulières de l'original par d'autres expressions particulières de sa propre langue ; en un mot, il doit parler comme l'auteur aurait parlé s'il avait écrit en la langue du traducteur. » [7]

« ينبغي على المترجم التعبير بلغته لا بلغة كاتب النص الأصلي لأنه يتوجه بترجمته إلى أشخاص ينتمون إلى أمّته. لهذا، لا بد عليه أن يقابل التعابير الخاصة بالنص الأصلي بتعابير خاصة أخرى من لغته هو. باختصار، ينبغي عليه أن يتحدث كما كان الكاتـــب الأصلي ليفعل لو كتب بلغة المترجم». ترجمتنا.

كما نرى، فإن دومارسي ينطلق في رأيـــــه هذا من مبدأ تكافؤ اللغات في التعبير عن الفكر الإنساني المشترك، و كذلك اعتقد أتباعه من بعده.

لكن ابتداء من القرن الثامن عشر ظهر تيار منتقد لهذه النظرية، و ظهرت إشكالية التمايز اللغوي، فانتقلت القضية من مبدأ التكافؤ اللغوي إلى مبدأ التمايز اللغوي الذي ظل يلجم الإبداع الترجمي في أوروبا عامة و فرنسا خاصة، حيث قُنّن المترجمون بمعايير صارمة لا ينبغي مخالفتها، تلخصت في مبدأ التطويع و الذي نادى به تيار يؤمن بفكرة التمايز اللغوي المبني على مدى تطابق تسلسل الكلمات في الجملة مع تسلسل الأفكار. هناك إذن أفضلية لغة على أخرى، و لا تتساوى كل اللغات في التعبير عن الفكرة الواحدة، فهناك لغات تعبّر عنها أفضل من الأخرى من حيث الأسلوب و التعابير، و على هذا الأساس خضعت الترجمة للمبدأ المذكور.

ولقد مثّل دانييل مارسي لهذا الواقع بفرنسا حيث كان فلاسفة و علماء لغة كثيرين يؤمنون بأفضلية اللغة الفرنسية على نظيراتها الأوروبية، وكانت نظرتهم سائدة طوال الحقبة الكلاسيكية. وقد قال في ذلك:

« Pourquoi un traducteur sacrifierait-il l'élégance et la clarté française au respect littéral du désordre de la phrase antique, de l'obscure concision du style anglais, de la prétentieuse emphase hispanique ou encore de l'artificieuse ornementation de la langue italienne » [8]

« ليس على المترجم أن يضحي بأناقة الفرنسيـــــة و وضوحها في سبيل النقل الحرفي

للترتيب المختل في جملة اللغة القديمة والاقتضاب الغامـــــض لأسلوب الانجليزية و المغالاة المتكلفة للإسبانية و كذلك التنميق المصطنع للإيطالية». ترجمتنا.

ولقد طرحت مسألة إمكانية الترجمة كذلك بالنسبة إلى نقل النصوص الدينية، و برز في دلك اتجاهين متناقضين عبّرا عن ردود أفعال الفلاسفة و علماء اللغة تجاه الترجمات التي أنجزت للكتب الدينية عامة و للكتاب المقدس خاصة. ففيما اعتبرها البعض وسيلة لاكتشاف أسرار الخطاب الديني، رأى فيها البعض الآخر تدنيسا و خرقا لحرمة الخطاب الإلهي لأنها تحط من قيمته لا أكثر.

رغم هذا التنافر في وجهات النظر، تعتبر الترجمات الدينية من أهم أنواع الترجمات التي عرفها التاريخ، و تكمن أهميتها في ميزات عدة اختصرها نايدا فيما يلي:

«Aucun autre type de traduction ne possède une aussi longue histoire, aucun n'implique autant de langues différentes (.....) Aucun n'englobe des textes aussi divers, ni ne couvre des aires culturels aussi distinctes » [9]

« لا يملك أي نوع آخر من الترجمة ما تملكه الترجمة الدينية من تاريخ عريق و لا يضم أي منها ما تضمه هي من لغات مختلفة و لا يحوي أي منها ما تحويه هي من نصوص متنوعة و لا تغطي أية منها ما تغطيه هي من نطاقات ثقافية متباينة». ترجمتنا.

ولقد كانت إشكالية الترجمة الدينية تمهيدا لظهـــــــــور إشكالية الاعتراض المُسبق (l'objection préjudicielle)التي تحدّث عنها مونان.

الهوامـــــش :

(1) Pergnier, Maurice; les fondements sociolinguistiques de la traduction, Lille :Presse Universitaire de Lille. 1978. P.5.

(2) C.f. p.5 .

(3) C.f. p.5 .

(4) Berman, Antoine. La traduction et la lettre ou l'auberge du lointain, éditions le seuil, 1999. P.16-17.

(5) C.f. p.17.

(6) دومارسي : فيلسوف و عالم نحو فرنسي، ولد عام 1676 وتوفي عام 1756 .

(7) Du Marsais, Exposition d'une méthode raisonnée pour apprendre la langue latine. Paris, 1722.P.112.

(8) التطويع هنا ترجمة لمصطلح naturalisme ،الذي ساد الممارسة الترجمية في أوروبا .

(9) Mercier, Daniel. L'épreuve de la représentation. Annales Littéraires de l'Université de Besaançon, n°589 ? Paris, 1995. P. 166.

المراجع المعتمـــدة :

- Berman, Antoine. La Traduction et la Lettre ou l'Auberge du Lointain, éditions le seuil, 1999 .
- Du Marsais, Chesneau, Exposition d'une méthode raisonnée pour apprendre la langue latine. Paris, 1722 .
- Guidère, Mathieu, Introduction à la traductologie : Penser la traduction hier, au jourd'hui, demain. Editions de Boeck. Coll. « traducto ». 2008 .
- Mercier, Daniel. L'Epreuve de la représentation. Annales Littéraires de l'Université de Besaançon, n°589. Paris, 1995.
- Nida, Eugène. Toward a science of translation, Leiden : Brill, 1964.
- Pergnier, Maurice, Les fondements sociolinguistiques de la traduction, Lille : Presse Universitaire de Lille. 1978.